لا ماءَ إلّا في مائك مرثية في أستاذنا الشّاعر والمفكر الرّاحل محمّد العلي رحمه ا

نعشّ على أكتافِنا يتمايلُ

وأكفُّنا بجلالِهِ تتخايلُ

ما كانَ تابوتاً يموجُ وإنّما

روحٌ لِما خلفِ المدى تتناولُ

وفؤادُ شيخِ طريقةٍ مِنْ لهفةٍ

للهِ عنْ سُبلِ العلا يتساءلُ

وملائكٌ فيمنْ سيحملُهُ إلى

دارِ الخلودِ مُكرّماً تتجادلُ

كمُلتْ بهِ التّسعونَ إلّا إنّهُ

ما كانَ إلّا بالرّدى يتكاملُ

وحنتْ عليهِ ليستريحَ ترائبٌ

وبهِ أحاطتْ كي يُسرَّ أناملُ

وسقتهُ مِنْ ماءِ السّماءِ سحائبٌ

وعـلـيهِ طـافـتْ كـي يَـقرَّ زواجـلُ !!

وصـبـتْ إلـيـهِ وقـدْ تـرحّـلَ قـانـعاً

بـسـنا الـمجرّةِ والـنّجومِ صـواهلُ !!

ودعـتهُ فـي الفردوسِ مِنْ ظمأٍ إلى

ضـحكاتِ مَـنْ مـلكَ الـقلوبَ منازلُ !!

وصـفتْ لـيشربَ مِـنْ مـعينِ نميرِها

والـخمرُ تندى في الجنانِ مناهلُ !!

وتـزيّـنتْ حـورُ الـنّـعيمِ وأرهـفتْ

سـمـعَ الـقيامةِ بـالصّلـيلِ خـلاخلُ !!

وتـهـامـستْ والـظّـلُّ يُـغـري قـلـبَهُ

أنْ يـصـطـفيها بـالـوصـالِ خـمـائـلُ !!

وتـزاحـمتْ كـي تـستضيفَ جـميعَهُ

فـي جـنّـةٍ وسِـعـتْ رؤاهُ قـبـائلُ !!

لا مـاءَ فـي الـماءِ الـّذي يـجري ولا

تخضلُّ منهُ أزاهرٌ وسنابلٌ !!

يا سيّدَ المسرى رويدَكَ إنّنا

ترِهنا وعقّدتِ الطّريقَ عواذلُ !!

وهناكَ في غمرِ التّآويلِ الّتي

خلّفتَ ضاعتْ في العراءِ قوافلُ !!

تعِبتْ خُطانا واسترابَ عناؤنا

فينا وخانتْ ما نُطيقُ كواهلُ !!

قفُرتْ بوادينا ووادينا بما

أنذرتنا منذُ التقينا آهلُ !!

أرجوكَ لا تعتبْ علينا إنّنا

عمّا أهمُّكَ لمْ نزلْ نتشاغلُ !!

ولكلِّ قنديلٍ قدحتَ فتيلَهُ

ليضيءَ فينا لمْ نزلْ نتجاهلُ !!

وعلى الّذينَ تحمّلوا أوزارَنا

مـــنْ ألـــفِ عـــامٍ لـــمْ نـــزلْ نـــتحاملُ !!

أدري بـــأنّـــكَ تـــلـــعـــنُ الـــوهـــمَ الـّـــذي

قـــدْ جـــاشَ فـــيـــنا حـــيـنما نـــتضاءلُ !!

وتـضـيـقُ حـــيـــنَ يـسـوقُـنا لـحـتوفِنا

فـــــي زيِـّ قـدّيـسٍ أمـيـنٍ جـاهـلُ !!

ويُـــــحـــاطُ مـــجـنـونٌ بـعـصـبـةِ أمّـــــةٍ

قـدْ شـئتَ أنْ تـنجو ويُـخذلُ عاقلُ !!

دعْ مَنْ مضوا خلفَ الضّبابِ فنجمُهمْ

والـشّـمسُ تُـشرقُ منْ بنانِكَ آفلُ !!

مـا كـانَ يـلوي مِـعصمَ الـبحرِ الـّذي

يـمـتدُّ فـيـكَ وإنْ تـجـهّـمَ سـاحـلُ !!

لا يـستوي مَـنْ قـدَّ أسـتارَ الـدّجى

وسـرى عـلى حـدِّ الـرّياحِ وواجـلُ !!

ومُـنـاضـلٌ مـــا جـــفَّ نـــزفُ مِـــدادِهِ

والــزّيفُ يــعصفُ بــالنّفوسِ وجــافلُ !!

لا تــلــتــفتْ إلّا إلـــى الــصّــبحِ الــّــذي

ســيجيءُ مُــنتشياً فــحلمُكَ آجــلُ !!

ومــداكَ أوســعُ مــنْ مــنــاياكَ الــّتي

قــدْ واربــتْــكَ وعــمــرُ مــثلِكَ حــافلُ !!

نـــمْ إنَّ هـــذي الأرضَ نــاعــيــةٌ بــهــا

غَــبــنٌ وقــلــبي مــا افــتقدتكَ ثــاكلُ !!

وانــعــمْ فــقــدْ صــلّــتْ لــتــغمرَها بــمــا

أبـــقـــى نـــــداكَ أواخـــــرٌ وأوائـــــلٌ